

أما أن يقول المسلم - وهو الذي فتح الإسلام أمامه أبواب التفكير في السموات والأرض - بتوقيفية البحث والتفكير، فهذا ما لم نكن نتصوره. ولكنه مع الأسف الشديد كان سيرتنا في التعصبات الطائفية.

إن الأسر التي حكمت باسم الخلافة الإسلامية قرونًا طويلة، كانت ترى في آل عبد(ع) المعارض الوحيد الخطير عليها، فكانت تسد شيعه آل على وتستخدم الأقلام والألسنة ضدهم، حتى أوجدوا حول الشيعة كثيرًا من الخلط، وكثيرًا من التشويش، وكان لأي مصلح يتصدى للدفاع عنهم أن يدرأ عن المسلمين شر التفرق. ولكن القوة التي بيد الخلفاء ومقاومة بعض الحكام من الجانب الآخر كلاهما سخر الأقلام والضمان ضد كل محاولة من هذا القبيل، وقضى عليها. نعم، هناك محاولات وقعت فيما مضى، إلا أنها كانت فريده من جهة، ولم تكن على أساس علمي مدروس من جهة أخرى. وكانت تارة سياسية ترمى إلى وحدة الحكم، وتارة غير عملية كمحاولة توحيد المذهب سنيها وشيعيها وبجانب هذا لم يكن الرأي العام يدرك حينئذ ما في التفرق من أضرار.

من أجل ذلك كله، لم تنجح واحدة من تلك المحاولات المشكورة، وإن تركت آثارا في نفوس قلة من المفكرين.

وبعد هذا ساق الإسلام الظروف المواتية لإيقاظ المسلمين. وهياً الأسباب التي تعين على ذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

فإن الدول القوية التي كانت تهيمن على مقدراتنا، وترسم لنا سياستنا منذ أمد طويل - هذه الدول خرجت من الحرب منهكة القوى مخضودة الشوكة سواء في ذلك الدول الغالبة والمغلوبة. وقبل أن تسترد الدول الغالبة أنفاسها بدأت بينها حرب ثالثة غير أنها كانت حربا باردة.

فجعل بعضهم يضرب بعضا، وجعل كل منهم يخلق المشكلات للآخرين، حتى سقطت هيبتهم جميعاً، وبذلك سقطت هيبة الدول التي كنا نؤخذ بها ونسحر